ملخّص
النظام الاجتماعي في الإسلام

إعداد: د. موسى معطان د. منى رفعت

أسس النظام الاجتماعي في المجتمعات البشريّة

قبل الإسلام

تقوم على أساس رابطة الدم والقبيلة والجنس

- كان الدين مستبعداً بل كان تابعاً لرابطة الجنس والقبيلة، بدليل أنه كان لكل قوم إلههم القومي، وبقيت رابطة الدم والقبيلة والجنس هي الرابطة الرئيسية إلى حد أنها طغت على رابطة الدين.

- **سلبيات أسس هذا النظام الاجتماعي:** هي أسس ضعيفة تتضمّن في ثناياها عوامل الفرقة والنزاع والظلم الطبقي والتفكك، لأنها لم تستند إلى الدين، يدلّ على ذلك واقع العرب قبل الإسلام؛ حيث كانت الحروب والنزاعات تقوم بين قبيلة وأخرى، بل داخل القبيلة نفسها بسبب كلمة تثار فيها حمية.

بعد الإسلام

١- أساس الدين

معناه: أرسى الإسلام بين المسلمين رابطة الأخوة الإيمانيّة الذي يربط الناس كلّهم برب واحد، ومصير واحد، وهدف واحد.

إيجابياته: يمنع التعصّب الأعمى للعرق والتفاخر والتنازع والتناحر.

مثال: المجتمع الإسلامي الذي بناه النبي (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة في وقت قصير جداً على نحو لم تعهده البشريّة

الدليل: " وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم". وقوله تعالى: " إنما المؤمنون إخوة "

٢- أساس الإنسانيّة

معناه: أرسى الإسلام بين البشر كلّهم رابطة الأخوة الإنسانيّة على أساس وحدة الجنس البشري، وإن اختلف اللون واللغة والعرق والدين

إيجابياته: القضاء على كل أسباب الفرقة والعصبيّة بين بني آدم، وتوضيح الحكمة من اختلاف الناس في اللون والعرق واللغة والنسب – ألا وهي التعارف والاجتماع والتواصل.

مثال: مجتمع المدينة المنورة الذي كان يجمع بين العربي والفارسي والرومي والهندي والصيني، والأبيض والأسود، والمسلم وغير المسلم.

الدليل: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»

و قوله تعالى: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »

سؤال: هل أقرّ الإسلام الروابط الاجتماعيّة الطبيعيّة مثل الدم والقبيلة والجنس؟

الجواب: من عظمة الإسلام و واقعيّته أنه لم يُلْغِ رابطة القرابة والنسب ولا رابطة القبيلة و القومية أو اللغة، وإنّما:

١- أعاد صياغة هذه الروابط وتنظيمها وتفعيلها على أساس ديني إنساني مشترك تحتكم إليه.

٢- استفاد الإسلام من هذه الروابط في زيادة ترابط المجتمع وتماسكه، وتلافي الفرقة والنزاع.

منهج الإسلام في تنظيم المجتمع

بعد أن أرسى الإسلام الأساس الديني والإنساني المشترك، عمل على توثيق الروابط الطبيعية بتشريعات فريدة ومتميّزة، وذلك في اتجاهين:

الاتجاه الأول: الترابط المعنوي

تشريعات سامية لتقوية الترابط المعنوي:

١- **الأسرة:** حيث أولى الإسلام الأسرة عناية بالغة، وليس أدلّ على ذلك من أنّ أكبر مساحة في آيات الأحكام في القرآن قد خصصت لبيان أحكام الأسرة.

أقام الأسرة على أسس من السكينة والمودة والرحمة والمعاشرة بالمعروف، ونظّم رابطة الزواج وسمّاه « ميثاقاً غليظا» وحرّم الزنى، ونظّم الزواج في كلّ مراحله:

أ- **أحكام قبل الإقدام على الزواج**، مثل: حسن اختيار الزوجين.

ب- **أحكام بعد قيام الزواج**، مثل: واجبات وحقوق الزوجين، وحقوق الأولاد المادية والتربوية، ومعالجة الخلافات الأسريّة على مراحل متتابعة: التحاور بين الزوجين – الإصلاح عن طريق استدعاء حكمين أحدهما من أهل الزوج والآخر من أهل الزوجة – اللجوء إلى القضاء – الطلاق .

ج- **أحكام الطلاق**، مثل: بيان الوقت المباح للطلاق (منع إيقاعه وقت الحيض) وتفصيل مراحل الطلاق..

٢- **القرابة:** حيث حثّ الإسلام على صلة الأرحام، وجعل الأقربين أولى بالمعروف.

٣- **علاقات الجيران:** حيث شبّه الإسلام الجار القريب في وجوب الصلة والمعروف بالقريب.

٤- **العلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة:** حيث أقامها الإسلام على أساس الأخوّة الدينيّة والإنسانيّة، والتعاون على الخير والإصلاح والأمر بالمعروف، ومحاربة الفساد والنهي عن المنكر، وتهذيب الفرد وتربيته على فضائل الأخلاق.

الاتجاه الثاني : التكافل المادي

نظم ماليّة لتقوية التكافل المادي

التأكيد على المعاني الدينيّة والإنسانيّة والقرابيّة لا يكفي لقيام مجتمع متماسك متآخٍ ؛ إذ إن التفاوت الفاحش بين الغني والفقير في المجتمع ووجود فئات محرومة ، من العوامل المهمّة التي تعمل على تفريق المجتمعات، ولذلك:

١- وضع الإسلام نظماً مالية ماديّة للتكافل بين أفراد المجتمع ، حسب مبدأ الأولوية بين دوائره، وهي بالترتيب:

دائرة الأسرة – دائرة القرابة – دائرة الجوار - دائرة العلاقات الاجتماعية والإنسانيّة.

قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ

٢- ندب الإسلام إلى نوع آخر من الإنفاق المالي الذي لا يهدف بشكل أساسي إلى معالجة الحاجة والفقر، و إنّما يهدف إلى توطيد علاقات أفراد المجتمع بعضهم ببعض، وتأكيد معاني الأخوة والمشاعر الإنسانيّة النبيلة، مثل: الهديّة، والوليمة في الزواج، وإجابة دعوة أخيه إذا دعاه إلى شيء من ذلك، وقبول هديّته.

مخاطر معاصرة تواجه المجتمعات الإسلامية

١- إشاعة القيم المتطرّفة في الماديّة والفرديّة، التي تضعف الدافع الديني والمشاعر الإنسانيّة، وتوهن من رغبة المسلم في القيام بواجباته الاجتماعيّة.

٢- إثارة الإقليميّة والإثنيّات العرقيّة والطائفيّة والدينيّة، كي يصبح كل مجتمع إسلامي مهدداً بالتقسيم من داخله إلى طوائف وعرقيّات متناحرة.

٣- إشاعة الانحلال الخلقي وإثارة شهوة الجنس وتعرية المرأة، وفي ذلك تهديد كبير للأسرة ولقيم العفّة في المجتمعات الإسلاميّة.

٤- مهاجمة مؤسسة الأسرة بشكل مباشر، وتنظيم المؤتمرات العالميّة المتعلّقة بالأسرة، ومن أخطرها : (مؤتمر المرأة) الذي عقد في بكين عام ١٩٩٥.